خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١٨ من ربيع الأول ١٤٣٦ هـ / ٩ من كانون الثاني ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: ((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنةٍ من زاوية من زاوياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)).

معاشر الإخوة: كما يَرصد علماء الفلك مِن أرضهم القريبة أجرام السماء العالية وكواكبها القاصية، وكما يستطيعون بآلاتهم الصغيرة ووسائلهم القصيرة أن يُعطوا فِكرة عن أبعادها وأحجامها وأشعتها ودورانها كذلك نرصد نحن أصحاب النفوس المحدودة والمواهب المعتادة مَعالم النبوة المحمدية في أُفقها السامي، ثم نتحدث عن أشعتها الهادية وأمجادها الرفيعة وآثارها الخالدة، كما يتحدث السائرون في النهار عن ضحوة الشمس، أو السائرون بالليل عن ضياء البدر، ولن نمثل للناس من معالم النبوة إلا أطراف يسيرة، ومهما اجتهدنا في تصويرها فلن نَعدو قول البوصيري: إنما مثلوا صفاتك للناس *** كما مثل النجومَ الماءُ

لقد مَضت قرون طويلة على ظهور مُحَمَّد ﷺ في التاريخ، ولكن الآثار الغَائرة والأحداث العميقة التي خَلَّفها من بعده لا تَزال قائمة ولن تَزال كذلك، فَالأُمة التي صَنعها بيديه والرسالة التي أوحيت إليه هي أشرف مواريث الإنسانية طراً، وسيموج العالم بعضه في بعض وتصطرع مذاهب وآراء وتتفانى شعوب وأجيال، ويبقى بعد ذلك دِين مُحَمَّد ﷺ العظيم، يَبقى الربوة العاصمة من الغَرق في هذا الطوفان الفَوَّار، وسيبحث العالم كله، نعم سيبحث العالم كله عن الحق والعدالة والسلام، ومهما أجهد نفسه فلن يجد إلى

ذلك سبيلاً، إلا إذا عرف الطريق إلى مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، فَمَشى على سنته واستقام على هديه، واستظل بلوائه وألقى إليه السلم، أجل لقد قطعت الإنسانية قروناً طويلة بعد رسالة مُحَمَّد ﷺ، وخطت الحضارة أشواطاً فسيحة إلى الأمام، واطردت سُنَّة التطور في كل شيء، وقد يُقال ماذا يصنع دين أو ماذا تصنع الأديان جملة وقد جاءت في العصور الوسطى، ونحن الآن في عصور أخرى، وهذا تَساؤل يُمليه الجهل بطبيعة الإسلام الحنيف، ذلك أن الإسلام دين الحقيقة، والحقيقة لا تتغير وإن تغيرت الأزمنة والأمكنة، فالإسلام جملة من الحقائق التي تتعلق بالعقيدة وبالفكر وبصلات الناس بعضهم ببعض، أو صلاتهم جميعاً بالخالق جل وعلا، فَمُحمد ﷺ هو أمل العالم في يومه وغده، وكتابه هو الدواء الفذ لما أصاب العالم من دوار، ولما اعترى خطواته من عثار، ولذلك خاطبه الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨].

ومن معالم النبوة ظهور مُحَمَّد ﷺ برسالته هذه في تلك البقعة بعينها من صحراء الجزيرة، فأنت لا تَعجب لزهرة النابتة في الحدائق النضرة، ولكنك تعجب لها أشد العجب عندما تراها مُستوية على ساقها في صميم الصحراء القاحلة وفي مهب الرياح العاتية، فكيف والأمر ليست زهرة واحدة ولا زهرات، بل هو كما قال القرآن: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] وهكذا تجدد للفكر الإنساني شبابه بعد الذبول والانحلال، وعادت للحضارة الإنسانية قوتها بعد ركود واضمحلال، وأنت تسأل: ومن أين أتتها هذه الأمداد الوافدة بالحياة، من الصحراء؟ نعم، من الصحراء التي لم تزدهر فيها قبلُ معرفة، والتي كان ينتظر منها أن تستورد المعارف من جاراتها العريقة في الحضارة لا أن تقوم هي بالتصدير والإمداد، وما انعسكت الآية في قوانين الأرض إلا لأنّ الله عز وجل أراد أن يحدث آية من لدنه، فلما اتصل جفاف الصحراء بوحي السماء تحول إلى خصب ونماء، فانطلق مُحَمَّد ﷺ وصحبه في مشارق الأرض ومغاربها هُداة مُرشدين وبُناة مُجددين، وأشار القرآن إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣]. واستمر نزول القرآن بضعاً وعشرين سنة، كان أوله تمهيداً لآخره، وكان آخره تصديقاً لأوله، وتعتبر تعاليم الإسلام

وحدة متماسكة، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وإنما نقول هذا الكلام لنقرر به فرقاً – انتبه أيها المسلم– لنقرر به فرقاً بين الرسالات الأرضية التي صنعها الناس لأنفسهم وبين الرسالات السماوية المنزلة من عند الله، فالديمقراطية التي نادى بها الفرنسيون مثلاً لم تَكن لها حَقيقة مُتميزة يوم كان الثوار الفرنسيون يهتفون لها، وقد وضعت لها دساتير كثيرة كانت كثرتها مسار سخرية لاذعة، وقد قتل الثوار قادتهم، وانتهت ثورتهم بامبراطورية شفافة طاغية، ولسنا ندري ما يحمل الغد في طياته من أطوارٍ جَديدة للإنسانية، وذلك أمر لا يُستغرب فيما يصنع الناس لأنفسهم من نظم، إذ أنهم يُخطئون ثم يكتشفون أغلاطهم فيداوونها بخطأ آخر، أما ما يَشرع الله لخلقه فهو مُنتهى الحكمة والرحمة، وفيه العصمة من التجارب المريرة، ومن ثم كانت الرسالة الإسلامية في بِداية الوحي وخِتامه عقداً يَسلكه نظام واحد، وينتهج خطة واحدة وغاية واحدة، وهي كذلك أبداً في كل عصر ومصر، وما نَعني بهذا –يا سادة على الإطلاق– مقارنة بين الإسلام وغيره من نظم، ولا بين نبي الإسلام وغيره من قادة الفكر، فالإسلام ونبيه الكريم فوق هذا، وشتان بين السفوح والقمم.

ألم تر أن السيف يذرى بقدره *** إذا قيل هذا السيف أمضى من العصا

ولكنها إشارات النبوة ومعالم الصدق، تتألق في معدنها النقي، فتملأ نفوسنا غبطة ويقيناً، كلما مرت السنوات وتجددت الذكريات.

إن ظلمات القطبين لا تستطيع شبكات الكهرباء بمصابيحها المحدودة أن تُزيحها ولا أن تُبدد عماها، إن ظلمات القطبين تحتاج إلى كوكب كالشمس تَتعرض له فيُبدد الغيوم ويُذهب الجليد المتراكم، وكذلك العالم ما كان يُمكن أن يهتدي أو يَرشد إلى الحق ويَعرف طريقه ولو تَحمل ذلك ألف داعية وألف مُفكر وألف فَيلسوف، كان أولئك جميعاً سَيَبُؤون بالعجز ويرجعون بالخذلان، إنما يستطيع تبديد هذه الجاهليات وإذهاب تلك المظالم والظلمات هو الإنسان الفذ الذي اختاره الله ورباه، إنه مُحَمَّد ﷺ، الذي استطاع أن يَنقل الناس أجمع من الضلال إلى الهدى.

لقد ألف الدكتور "ماركل هارت" عالم الفضاء الأمريكي، ألف كتاباً عن المائة الأوائل من عظماء العالم وعباقرته، فقد رأى –بمقاييسه العقلية المجردة– أن مُحَمَّداً قِمةٌ شماء توجدها المجد والجلال، حيث قال: إن اختياري مُحَمَّداً –اسمع أيها المسلم، اسمع أيها العربي، ماذا قال المنصفون الذين وقفوا على أعتاب مُحَمَّد بن عبد الله، هذا الإنسان العظيم، هذا النبي العظيم– قال إن اختياري مُحَمَّدا لأكون في قائمة أهم رجال

التاريخ قد يُدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في تاريخ الإنسانية كله الذي حقق أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي، لقد أقام إلى جانب الدين دولة جديدة، وَوَحَّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع كل أسس حياتها، ورسم شؤون دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم أجمع قبل أن يرحل عن هذه الحياة.

والأمر واضح بالنسبة إلى حملة الوحي الإلهي، فقد مكث نوح عليه السلام يَدعو إلى الله عشرة قرون، ثم كان أتباعه آخر الأمر لا يَملؤون ظَهر سَفينة، وأما إبراهيم عليه السلام فإن صحائف رسالته تلاشت في أعقاب وفاته، وأما موسى عليه السلام فقد بذل جهوداً عظيمة ليجعل بني إسرائيل شعباً يَعرف ربه ويُسدي الخير للناس، فإذا بنو إسرائيل يَجعلون الألوهية احتكاراً على جنسهم، وكأن الله خلق السماوات والأرض لهم وحدهم، وكأن أهل الأرض خُلقوا لخدمتهم، ومع ذلك كله ما رفعوا لله راية، وما احترموا له وحياً، ولا اتخذوا عنده ذخراً، وما بين أيديهم من تراث يؤكد هذه المزاعم، اليهود يَنسبون أنفسهم لأنبياء الله ورسله، لا سيما إلى نبينا موسى عليه الصلاة والسلام، نحن كمسلمين نؤمن بالأنبياء جميعاً، لا نفرق بين أحد من رسله، ونلتزم بما أمرنا الله به من خلالهم، ونسير على نهجهم القويم، ونسير على شرائعهم السمحة، أما اليهود فإن الأنبياء يَبرؤون من تصرفاتهم وإجرامهم، اليهود ينسبون أنفسهم إلى موسى، وموسى عليه السلام منهم براء، لأن اليهود قتلة الأنبياء ونقضة العهود، واليهود على مر التاريخ كانوا السرطان الأكبر والأخطر الذي تغلغل في كيان الأمة العربية والإسلامية لتفتيتها وتمزيقها، فإذا كان اليهود يعتقدون أو أنهم يَنسبون أنفسهم إلى موسى، فإننا نقول لهم: لماذا تغتصبون الأراضي وتقتلون الأطفال والنساء، وتنتهكون المقدسات والحرمات، وعلى رأس ذلك أقصانا الشريف؟ ولماذا تعملونه على دمار وخراب البلدان التي تقول لكم: لا لاحتلالكم، لا لإجرامكم، لا لإرهابكم، لا لدعمكم الإرهاب في سورية وفي العراق وفي مصر وفي ليبيا، وغيرها من البلدان العربية.

إن ما أصاب سورية كله بسبب إسرائيل، بسبب هذا العدو الغاشم، لقد استطاع هذا العدو مع الأسف أن يُرسل المرتزقة إلى بلادنا ليعمل على دمارها وخرابها، وليَعمل على استنزاف جيوشها، ولكننا نقول لهم: إن القائد بشار الأسد عِندما ذهب إلى مَدينة جوبر منذ أيام قليلة أَعطى للعالم بأسره رِسالة، وهي أنه كلما زادت علينا المحن والشدائد رَضعنا مِنها العَزيمة والإصرار، هذه الرسالة الأولى، أما الرسالة الثانية: قال للعالم بأسره: الأسود هنا باقية، أما الضباع لا مكان لها على أرض سورية على الإطلاق، إما أن يرحلوا

وإما أن يَموتوا، وسيرسم من منطقة جوبر الطريق إلى تحرير جولاننا الحبيب بهمة أهلنا ورجالنا الأشاوس هناك في الجولان، لكي ينطلق من الجولان بعدها بهمة هذا الشعب الأبي المعطاء، بهمة الشرفاء في العالم، بهمة المخلصين للقضية الفلسطينية وللقضايا العربية، إلى لواء اسكندرون، لنقول للعالم بأسره شعباً وقائداً وحكومة: نحن هنا باقون، مهما فعلتم ومهما قتلتم ومهما دمرتم، لن نَركع لإجرامكم ولا لغدركم ولا لمكركم.

إنه مولد الحبيب الأعظم ﷺ، الذي جاءنا لِيُعلمنا أنه لا نامت أعين الجبناء، وأن النبي ﷺ علمنا أن الله يَنصر الحق وأهله ولو بعد حين، وهذا العام هو عام النصر بإذن الله، هذا العام هو عام النصر، كيف لا، أما ترون –يا سادة– إلى الانتصارات التي يحققها الجيش العربي السوري، ألا ترون إلى الإرادة الحديدية التي لا تَنكسر ولا تُهزم بإذن الله سبحانه، ألا ترون ما قال قائد الوطن للجيش عندما ذهب إلى الخطوط الأمامية في مدينة جوبر قال: نحن جئنا لنستمد المعنويات منكم، هذه كلمة حق، نحن عندما نجد الجندي يَقف في البرد الشديد وفي الحرِّ الشديد نَستمد المعنويات من هذا الجيش المعطاء، هذا الجيش المعطاء هو الذي يزيدنا معنويات، وإننا نقول للعالم كشعب سوري: إن ذهاب السيد الرئيس إلى مدينة جوبر يَقول لكم: أيها المغرورون بدولاراتكم وبأموالكم وبجبروتكم المزيف، سيذهب قائد الوطن إلى كل رقعة من هذه الأرض، ليقول: هذه أرضي وهذا شعبي، وهُنا نحيا وهنا نموت، ولن نستسلم لكم أيها الضباع، إما أن ترحلوا، وإما أن تُداسوا تحت أقدام ونعال الجيش العربي السوري، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً هَنيئاً مَريعاً طَبَقاً سَحاً مُجللاً إلى يوم الدين، اللهم وفق السيد الرئيس

بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تُسدد أهدافهم ورميهم، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.